الأحرف المقطعة في القرآن الكريم
دراسة تحليلية وإحصائية

المدرس الدكتور
نهضة صاحب هاشم الشريفي
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
Nahda.alsharifi@gmail.com

The Muqatta'at Disjointed Letters in the Holy Qur'an
Analytical Study

Lect. Dr.
Nahda Sahib Hashim
The Islamic University - College of Islamic Sciences

الملخص:

١- تفرد القرآن الكريم باستعماله الأحرف المقطعة في مستهلّ تسع وعشرين سورة مباركة مكية - عدا ثلاث منها مدنية - لم يسبق له مثيل حتى في الكتب السماوية الأخرى.

٢- تعددت المذاهب قديما وحديثا في محاولة للوقوف على دلالات الأحرف المقطعة، فأسبغ العلماء عليها تأويلات متنوعة يمكن عدّها بمثابة الفرضيات المحتملة المطروحة، ومن أهمها:

أ - تسكيت للكفار ولفت انتباههم الى ما يليه من الكلام، وذلك لغرابتها، وقد تواصى المشركون آنذاك أن لا يستمعوا للقرآن وأن يصدروا ضجيجا وصفيرا لئلا يصل الى أسماعهم

ب - ان عظمة الأشياء تكمن في بساطتها، فعلى الرغم من بساطة حروف التهجي مفردة الا انه بضمها ووصلها أنتجت أعظم معجزة في تاريخ البشرية، فأن هذا الكتاب السماوي الذي حيّر فصحاء العرب وغير العرب، في كل العصور، يتكون من الحروف نفسها المتيسرة في متناول الجميع، وهي هي الحروف الهجائية نفسها والكلمات المتداولة عينها.

ج - هذه الفواتح هي رمز بين الله تعالى وحبيبه النبي محمدﷺ ليس المطلوب إفهام الآخرين بها إذ انها تتجاوز القدرة البشرية على الفهم، فهي من قبيل الإشارات الخاصة بين المحب والمحبوب، والمناجاة بين العاشق والمعشوق، وهي أسرار لا سبيل للإطلاع عليها سوى الله تعالى وحبيبه محمدﷺ.

٣- ثمة طرح آخر يربط الأحرف المقطعة بآيتي المثاني ويذهب الى ان المقصود بهاتين الآيتين الأحرف المقطعة لا سورة الفاتحة.

٤- ان الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة، والحروف المقطعة رغم وحدتها الا انها أصل كثرة الآيات الإلهية بل هي عينها وكثرة الآيات الإلهية هي عين وحدة الحروف المقطعة.

٥- للأحرف المقطعة جملة من الخصائص أهمها: إن ألفاظ القرآن الكريم المقدسة الرفيعة الشأن، لا تكتمل ولا تشكل قرآنا إلا بضميمة الأحرف المقطعة، لتكون كُلاً متماسكا عظيما هو كتاب الله تعالى، وإن هذه الأحرف غير المفهومة في لفظها تحمل من الأهمية والهيبة والقدسية ما تحمله الألفاظ القدسية المفهومة الأخرى، فهي جميعا كلام الله تعالى.

٦- اهتم الدارسون حديثا بالأحرف المقطعة وقدموا قراءات إحصائية دقيقة ومبهرة تدعو الى التفكر والخشوع بعظمة القرآن ودقته في تناسق الحروف وتجانسها العجيب، وذلك بحسابات رياضية غاية في الدقة بالاستعانة بالعقل الالكتروني. فينبغي ان يتعظ الإنسان ولا يغتر بعلمه ومهما امتلك من علم يبقى جاهلا أمام الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، ورحم الله من عرف قدر نفسه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم - الأحرف المقطعة - المثاني - الاستهلالات المتشابهة - الخصائص - المفتتح الخاص - المفتتح العام.

Abstract:-

1- The holy Qur'an is the first and the unique in using the separated letters in the initiation of twenty nine holy Meccaen suras and three holy Medinian suras.

2- There are different doctrines that attempt to understand and explain the significance of these separated letters، the results was varied interpretations that could be considered as probable hypotheses. The most important ones are:-

a. To silencing the unbelievers and drawing their attention to the following speech، where they had agreed to make noise with reading the holy Qur'an.

b. Things' greatness lies on their simplicity، though they are simple letters، they represent the greatest miracle in the human history; this astonishing and amazing Book is formed of these simple letters.

c. These letters are symbols or codes between His Almighty God and His beloved prophet Mohammed(Prayer and peace be upon him)، the other are not required to understand them as they are secrets go beyond the human ability of understanding.

3- There is another interpretation that connects the two verses of (Al-Mathany) with the separated letters believing that what is meant by the two verses of (Al-Mathany) is not the sura of (Al- Fateha)، rather it is these separated letters.

4- The separated letters are unified، they are the origin of the Divine verses، and the vice versa.

5- The separated letters have a set of characteristics such as:- the holy terms of the holy Qur'an could not be integrated to form the holy Qur'an without these separated letters; and these ambiguous letters have the dignity and holiness of the other clear and understood terms، they are all the words of His almighty God.

6- The modern scholars pay great attention to the separated letters، submitted amazing and accurate statistical readings call for meditation and deep thinking in the greatness of His almighty God which is clarified by the harmony of the separated letters، which is proved by high level mathematic studies depending on computers. So Man should not be proud of his knowledge or education.

Key Words:- Holy Qur'an – Disjointed Letters – Paired Words – Analogous Preambles – Characteristics – Specific Opener – General Opener.

المقدمة:

اختص القرآن الكريم بوجود الأحرف المقطعة في مفتتح بعض سوره، لا يوجد له نظير في ذلك، ولم يسبق أن استعمل هذا الأسلوب في الكتب السماوية المتقدمة.

إن الابتداء بالأحرف المقطعة في القرآن الكريم له وقع خاص متفرد ومختلف عن نمط الابتداء في النصوص الأدبية في عصور ما قبل الإسلام وما بعده فهو يعتمد (طريقة التفجر الفجائي للكلمة، فيما تسير أغلب النصوص على الطريقة التي تعتمد البناء العقلي المنضبط)[١]. وتختلف هذه الأحرف من حيث أن بعضها جاء في موضع واحد، وبعضها الآخر تكرر في مواضع عدّة.

وقد نزلت السور المباركة التي تحمل هذه الأحرف في أجواء مكية، عدا سور: البقرة، آل عمران، والرعد، فهي من أوائل العهد المدني[٢].

وتتزاحم في ذهن المتتبعين والمبحرين في الأجواء القرآنية المقدسة تساؤلات عدّة حول ما تحمل الأحرف المقطعة من معان وأسرا: لماذا لم تمثل الأحرف المقطعة لفظا مفهوما كما هي الألفاظ المقدسة في القرآن الكريم؟ هل جاءت هذه الأحرف بهذا النسق لقصد معين؟ وهل تحمل دلالة ما للسورة التي توّجت مستهلها؟ أيمكننا الوقوف على ماهية هذه الدلالة؟ وقبل كل شيء كيف تلقى العرب زمن الرسول الأعظمﷺ هذا الأسلوب الذي تفرد به القرآن الكريم؟

إن هذه الأحرف المقطعة هي أحد أسرار القرآن العظيم ونور من أنواره القدسية على الرغم من أنها لا تشكل لفظا مفهوما بالنسبة لنا نحن البشر. ولعل أحد أسرارها إبهامها وتعذر الوصول الى فك رموزها العجيبة، ومع ذلك نجد المفسرين (وهم يحللون الصور الاستهلالية في النص القرآني وقفوا على تحليلات فنية وجمالية، وإشارات الى معان من الرمزية والغموض والغرابة المقصودة؛ لأن هذه الصور اللفظية في سور القرآن الكريم لا تستهل بكلمة مفهومة، بل برموز أبجدية بسيطة تحمل تنظيما مقصودا أسبغ عليها علم التفسير تأويلات مختلفة)[٣]، ولعل في هذه الأحرف إشارة الى(ان من كان بالعقل والصحو استنبط من اللفظ اليسير كثيرا من المعاني، ومن كان في الغيبة والمحو يسمع الكثير فلا يفهم منه اليسير... فأنزل الله هذه الحروف التي لا سبيل الى الوقوف على معانيها، ليكون للأحباب مُزجة حينما لا يقفون على معانيها بعدم السبيل اليها فلا تتوجه عليهم مطالبة بالفهم)[٤].

جداول للسور المتضمنة الأحرف المقطعة

لعل من الأنسب بدايةً عرض جداول لأسماء السور التي تستهل بالأحرف المقطعة:

التسلسل	السورة	عدد آياتها	الجزء	مكية أو مدنية
٢	البقرة	٢٨٦	١،٢،٣	مدنية
٣	آل عمران	٢٠٠	٣،٤	مدنية
٢٩	العنكبوت	٦٩	٢٠	مكية
٣٠	الروم	٦٠	٢١	مكية
٣١	لقمان	٣٤	٢١	مكية
٣٢	السجدة	٣٠	٢١	مكية

السور التي تبدأ بالأحرف (أ ل م)

التسلسل	السورة	عدد آياتها	الجزء	مكية أو مدنية
١٠	يونس	١٠٩	١١	مكية
١١	هود	١٢٣	١١	مكية
١٢	يوسف	١١١	١٢	مكية
١٤	إبراهيم	٥٢	١٣	مكية
١٥	الحجر	٩٩	١٤	مكية

السور التي تبدأ بالأحرف (أ ل ر)

التسلسل	السورة	عدد آياتها	الجزء	مكية أو مدنية
٤٠	غافر	٨٥	٢٤	مكية
٤١	فصلت	٥٤	٢٤	مكية
٤٢	الشورى	٥٣	٢٥	مكية
٤٣	الزخرف	٨٩	٢٥	مكية
٤٤	الدخان	٥٩	٢٥	مكية
٤٥	الجاثية	٣٧	٢٥	مكية
٤٦	الأحقاف	٣٥	٢٦	مكية

سور الحواميم

التسلسل	السورة	عدد آياتها	الجزء	مكية أو مدنية
٧	الأعراف	٢٠٦	٨	مكية
١٣	الرعد	٤٣	١٣	مدنية
١٩	مريم	٩٨	١٦	مكية
٢٠	طه	١٣٥	١٦	مكية
٢٦	الشعراء	٢٢٧	١٩	مكية
٢٧	النمل	٩٣	١٩	مكية
٢٨	القصص	٨٨	٢٠	مكية
٣٦	يس	٨٣	٢٢	مكية
٣٨	ص	٨٨	٢٣	مكية
٥٠	ق	٤٥	٢٦	مكية
٦٨	ن	٥٢	٢٩	مكية

السور المتبقية المفتتحة بالأحرف المقطعة

موقف عرب الجاهلية من الأحرف المقطعة:

كان العصر الجاهلي عصرا ذهبيا للأدب العربي، فالوثائق التاريخية المتوافرة تشير الى أن العرب كانوا يتمتعون في تلك المدة بذوق أدبي رفيع يحتل ذروة الفصاحة.

ومن أهم ما يلاحظ في هذه المدرسة أن شعراءها أو رواتها كانوا من قبائل مختلفة في شرقي الجزيرة وغربيها، حتى ان شعراء القبيلة الواحدة كان يروى خلفهم شعر سلفهم، ولم يكن الشعراء وحدهم الذين يهتمون برواية هذا الشعر؛ فقد كان يشركهم في ذلك الاهتمام أفراد القبيلة جميعهم، لأنه يسجل مناقب قومهم وانتصاراتهم في حروبهم كما يسجل مثالب أعدائهم، وكان كثير من أفراد القبائل الأخرى يشتركون معهم في إشاعة الشعر، و بينهم جم غفير من الحفظة، كانوا يتناقلون الشعر وينشدونه في محافلهم ومجالسهم وأسواقهم؛ إذ لم يكن لهم شاغل سواه، وكان يسجل مآثرهم ومثالبهم وأنسابهم وأيامهم وأخبارهم(٥).

وكان للأدب سوق رائجة تدل على اهتمام العرب بلغتهم وآدابها كسوق عكاظ الذي كان يشهد الى جانب المعاملات الاقتصادية والقضايا الاجتماعية حركة أدبية منظّمة سنويا يتم فيها انتخاب أفضل ما قيل من الشعر خلال العام وكانت القصيدة الفائزة تعد فخرا كبيرا للشاعر ولقبيلته(٦).

في مثل هذه الأجواء من الانتعاش الأدبي نزل القرآن العظيم على قلب الرسول الكريمﷺ، يحمل في طياته ما يقرب من الشعر والنثر بأسلوب أدبي متفرد ملفت، نزل بمائة وأربع عشرة سورة، ست وثمانون منها نزلت في مكة المكرمة، وثمان وعشرون في المدينة المنورة، ومن بين مجموع القرآن استهلت تسع وعشرون سورة بالأحرف المقطعة.

وقد أجمع المفسرون على أن غالبية السور المبدوءة بالأحرف المقطعة نزلت في مكة المكرمة، وكان وجود هذه الأحرف في مطلع الكلام ظاهرة لم يسبق لها مثيل في حياة العرب بهذه القوة وذلك الصدى، وأمر كهذا من شأنه أن يثير في العربي حب الاستطلاع ويدعوه الى متابعة الكلام الى نهايته.

ومن الجدير ذكره ان التاريخ لم يحدثنا أن عرب الجاهلية المشركين عابوا على رسول اللهﷺ وجود هذه الأحرف المقطعة، وهنا نحتاج الى وقفة تساؤل: إذا كان المشركون يتربصون الدوائر بالمسلمين ويتتبعون العيوب والهفوات ليجعلوهم سخريّا ويطعنوا بقرآنهم، فلِمَ لم يتخذوا من الأحرف المقطعة ذريعة للطعن بالدين الجديد والاستخفاف به؟

ربما لم ينكروها لأنها مألوفة لديهم بشكل أو بآخر، ومن الممكن أن يكون لكل من هذه الأحرف أو على الأقل لقسم منها معان ومفاهيم خاصة، فنحن نرى في كثير من الروايات وكلمات المفسرين أن (طه) مثلا تعني: يا رجل، وقد ورد لفظ (طه) في بعض شعر العرب أيضا ولها معنى شبيه بـ: يا رجل أو قريب منه، ويمكن أن تعود هذه الأشعار الى بداية ظهور الإسلام أو الى ما قبل ظهور الإسلام.

وقد نقل عن بعض علماء الغرب المهتمين بالدراسات الإسلامية انهم كانوا يعممون هذه النظرية على كل الأحرف المقطعة في القرآن ويعتقدون أن الأحرف المقطعة في بداية كل سورة هي كلمة لها معنى خاص أصبح متروكا مع مرور الزمن ووصل إلينا بعضه، وإلا فمن المستبعد أن المشركين آنذاك كانوا يسمعون الحروف المقطعة ولا يفهمون منها شيئا ولا يدركون لها معنى، ثم نراهم لا يسخرون ولا يستهزئون بها، ولم نجد في أي من التواريخ أنهم اتخذوا من الحروف المقطعة وسيلة للقيام بردود أفعال ضدها أو ضد الإسلام(٧).

إن هذا الرأي ليس من السهل تطبيقه على كل الأحرف المقطعة فكيف يمكن أن ينسجم مع الحرف الواحد مثل (ن) و (ق)؟ أما (طه) و (يس) فإنهما قد يكونان من الحروف التي تناسبها هذه النظرية، فهما من أسماء النبيﷺ كما هو معروف عندنا، ولكن حتى هذه الأسماء قيل عنها أنها حروف مقطعة (أصبحت تدريجيا وبمرور الزمن اسما خاصا للنبيﷺ)(٨).

لقد كان المشركون (خصوما ألدّاء اشتدّ عنادهم الى درجة أنهم ما كانوا على استعداد حتى لسماع تلاوة رسول اللهﷺ، بل أثاروا ضجيجا ورفعوا الأصوات في وجههﷺ عند قراءته الآيات القرآنية ليضيع في زحمتها وخضمها نداؤهﷺ وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٩))(١٠).

ولذلك قيل انه يمكن أن يكون أحد الأهداف لهذه الأحرف هو جلب انتباه الناس وحثّهم على السكوت والإصغاء، وهذا ما سنشير إليه في المطلب اللاحق بشيء من التفصيل.

أقوال المفسرين في الأحرف المقطعة:

تنوعت الآراء حول الأحرف المقطعة، من المتقدمين والمتأخرين، في هذا المطلب سنعرض ما توافر لدينا مع مناقشة بعضها:

١- إن الأحرف المقطعة (من المتشابهات التي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها إلا هو)(١١). هذا القول لا يصمد أمام ما ذكر بصدد بيان معنى المحكم والمتشابه، فإن (الإحكام والتشابه من صفات الألفاظ التي لها دلالة لفظية على مداليلها، وان التأويل ليس من قبيل المداليل اللفظية، بل ان التأويلات حقائق واقعية تنبعث من مضامين البيانات القرآنية أعم من محكماتها ومتشابهاتها، وعلى هذا فلا هذه الحروف المقطعة متشابهات ولا معانيها المراد بها تأويلات لها)(١٢).

٢- إنها رموز وإشارات للدلالة على أسماء الله تعالى، فمثلا ان (المص) إشارة الى جملة (أنا الله المقتدر الصادق)، أو (أنا الله أعلم وأفصّل)، وأن (ألم) معناه (أنا الله أعلم)، وأن (ألمر) معناه (أنا الله أعلم وأرى)، وقيل في (كهيعص) بأن الكاف من كافٍ أو كريم أو كبير، والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، كذلك قيل في (ق) قادر أو قاهر، وفي (ن) ناصر أو نور(١٣). وبهذه الطريقة يكون كل حرف صورة مختصرة عن أحد أسماء الله تعالى (ولقد كان موضوع إحلال الصور المختصرة محل الصور المفصلة للكلمات أمرا رائجا من قديم الزمان وإن حصل مثل هذا في عصرنا الحالي بشكل أوسع وأكثر تقنينا، حيث اختصر كثيرا من العبارات الطويلة، وكذا أسامي المؤسسات أو الهيئات في كلمة قصيرة أو أحرف معدودة)(١٤).

بتأمل بسيط فيما ذكرنا في هذه النقطة يمكن أن نسجل ملحوظتين:

- الحروف المأخوذة من الأسماء ليست من موضع واحد، فمنها ما هو مأخوذ من أول الاسم كالكاف من (كافٍ)، ومنها ما هو من وسطه كالياء من (حكيم) ومنها من

آخره كالميم من (أعلم).

- ونلحظ أيضا (ان أصحاب هذا القول لا يكادون يجمعون على دلالات الحروف فيه)[١٥] كما نرى في الكاف، فمرة قيل (كافٍ) ومرة (كريم) وأخرى (كبير)، ومثل ذلك ينطبق على بقية الحروف.

٣- إن الأحرف المقطعة تمثل اسم الله الأعظم، فقد ذكر الطبرسي (انها أسماء الله تعالى متقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، تقول: (الر) و(حم) و(ن) فيكون (الرحمن)، وكذلك سائرها، إلا اننا لا نقدر على وصلها والجمع بينها)[١٦].

٤- إنها أقسام أقسم الله تعالى بها (فكأنه أقسم بهذه الحروف على أن القرآن كلامه، وهي شريفة لكونها مباني كتبه المنزلة، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأصول لغات الأمم على اختلافها)[١٧]. وهذا المتبنى يمكن ان ينسجم معنويا بلحاظ قدسية كل حرف في القرآن ومصديته، وان كان قد اقسم في مواضع أخرى بآياته الحسية الباهرة وهي جمة يتعذر إحصاؤها.

٥- إن كُلا منها اسم للسورة التي وقعت في مفتتحها[١٨]، نمثل لذلك بسورة (يس) و (طه) وغيرها، ومن الواضح ان جل المفتتحات لا تمثل أسماء السور.

٦- المراد بها الإشارة الى مدة بقاء هذه الأمة على ما يدل عليه حساب الجمل، وهذا من إسرائيليات (حيي بن الأخطب) حيث انه عدّ الألف من (ألم) واحدة واللام ثلاثين والميم أربعين، فهذه إحدى وسبعون فقال: أفندخل في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ فلما نزلت (ألر) و(ألمص) و(كهيعص) اتسع عليه الأمر[١٩]...

٧- إنها أسماء للقرآن الكريم[٢٠]، نظير الأسماء الأخرى للقرآن من مثل: الفرقان، والذكر، والكتاب، وغيرها. وهذا المتبنى لا يستند الى دليل علمي او قرينة معتمدة، فلا مناسبات الظروف الموضوعية ولا مناسبات الكلام اللغوية تشير الى هذا المعنى، وحالها حال كل تفسير او فرضية اخرى[٢١].

٨- هذه الحروف إنما هي إشارات الى نعم الله تعالى وآلائه، وبلائه، وأعمار القوم وآجالهم[٢٢].

٩- إنها بمثابة تنبيه وتسكيت للكفار، فتوقظ السامعين للإصغاء الى ما يرد بعدها، وقد تواصى المشركون آنذاك فيما بينهم أن لا يستمعوا للقرآن وأن يصدروا ضجيجا وصفيرا من أجل أن لا يصل الى أسماعهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٢٣] فأنزل الله تعالى هذه الحروف فكانوا إذا سمعوها من النبي ﷺ استغربوها وتفكروا فيها واشتغلوا بها عن شأنهم وعلموا أنها والمتلوّ بعدها من جهة الوحي، فيقع القرآن في مسامعهم[٢٤]، فيكون ذلك سببا قد يصل بهم الى إدراك ما ينفعهم ويهديهم.

١٠- وقيل أيضا ان المراد بها حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها عن ذكر بواقيها[٢٥]

١١- وأهم هذه الأقوال، والذي يميل إليه جمع من المتأخرين، ان الأحرف المقطعة التي المستهلة بها بعض السور القرآنية إنما هي إشارة الى أن هذا الكتاب السماوي الذي حيّر فصحاء العرب وغير العرب، وتحدّت بلاغته وفصاحته الإنس والجنّ في عصر الرسالة وكل العصور، يتكون من الحروف نفسها المتيسرة في متناول الجميع، وهي هي الحروف الهجائية نفسها والكلمات المتداولة عينها، ومع ذلك فإن فيه من جمال العبارة وعمق المعنى ما يجعله ينفذ الى القلب والروح، ويملأ النفس بالرضا والإعجاب، ويفرض احترامه على الأفكار والعقول[٢٦]، وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله: ((كذّب قريش واليهود بالقرآن وقالوا هذا سحر مبين، تقوّله، فقال الله ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ...﴾ أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلته إليك هو الحروف المقطعة التي منها ألف ولام وميم، وهو بلغتكم وحروف هجائكم ﴿فأتوا بمثله إن كنتم صادقين...﴾))[٢٧]. وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ((ان الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب ثم قال: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٢٨])[٢٩].

وكما ان الله تعالى خلق من التراب موجودات كالإنسان بما فيه من أجهزة معقدة محيرة، وكأنواع الطيور والأحياء المتنوعة، والنباتات والزهور المختلفٌ ألوانها وأنواعها، وكما اننا نتج من هذا التراب نفسه أنواع المصنوعات، كذلك الله سبحانه وتعالى خلق من هذه الحروف الهجائية المتداولة موضوعات ومعاني سامية في قوالب لفظية جميلة وعبارات موزونة وأسلوب خاص مدهش معجز، وهذه الحروف الهجائية موجودة فعلا تحت تصرف الإنسان، ولكنه عاجز عن صنع جمل وعبارات شبيهة بالتعبيرات القرآنية القوية الرصينة الكاملة(٣٠).

١٢- وهناك رأي حُكي عن الكاتب المصري المعروف (طه حسين) مفاده انه أنكر كون الأحرف المقطعة من القرآن والوحي! وقال بأنها ألصقت بالسور على مرور الزمان، وقد أخذ هذا الرأي عن المستشرق (رودويل) إذ اعتقد الأخير أن هذه الأحرف إنما هي رموز الى جامعي القرآن، زاعما أن (كهيعص) رمز الى مصحف ابن مسعود، و(حمعسق) رمز لمصحف ابن عباس، و(طس) رمز لمصحف ابن عمر، وهلم جراً على هذه الشاكلة، ثم أُلحقت بمرور الزمان بالقرآن(٣١). وقد رد هذا القول بأن الرجوع الى النسخ القديمة والى التفاسير منذ القرون الأولى لصدر الإسلام وأواسط القرن الثالث تعطي خلاف من ذهب الى ذلك الرأي، وهذه النسخ أشهد شاهد على ان الأحرف المقطعة كانت في الابتداء تكتب في القرآن وليست زيادات عديمة النفع خاوية الدلالة، ولا حوادث متخيلة على حدّ زعمهم(٣٢).

١٣- يتبنى جملة من العلماء ومنهم السيد الخميني قدس سره النظرية التي تذهب الى ان هذه الحروف هي من قبيل الرموز والإشارات الخاصة بين المحب والمحبوب، والمناجاة بين العاشق والمعشوق، وهي أسرار لا سبيل للإطلاع عليها سوى الله تعالى وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله، ولذا فهو لا يستبعد مطلقا ان تكون الحروف المقطعة أمور تتجاوز القدرة البشرية على الفهم وقد خص الله تعالى فهمها بالمختصين بالخطاب(٣٣). وممن مال من العلماء قديما الى المذهب ذاته وعدّها سرا بين الحبيب وحبيبه الآلوسي في (روح المعاني) فبعد استعراضه عدد من الآراء فيها انتهى الى القول: (الذي يغلب على الظن ان تحقيق ذلك علم مستور وسر محجوب عجزت العلماء عن ادراكه وقصرت خيول الخيال عن لحقه) ثم يستدرك: (فلا يعرفه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الا الأولياء

الورثة... وقد تنطق لهم الحروف عما فيها كما كانت تنطق لمن سبح بكفه الحصى...)[٣٤].

علاقة آيتي المثاني بالأحرف المقطعة:

ورد لفظ (المثاني) مرتين في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٣٥] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ . . .﴾[٣٦].

وقد اتجه أغلب المفسرين في بيان دلالة هذه المفردة الى انها تشير الى فاتحة الكتاب، بيد أن ثمة من مال الى رأي مغاير رابطا دلالة الآيتين الكريمتين بانها إشارة الى الأحرف المقطعة، واستدل على ذلك بدليلين[٣٧]:

الدليل الأول: إن الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ ((إن الله تعالى قال: يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، فأفرد بالامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن))، هذا الحديث غير معلوم الصحة، ولو كان مقطوع السند لما كان هناك وجه لاختلاف المفسرين عليها بل لسلموا قطعا بأنها فاتحة الكتاب، لكن هذا لم يحصل ولم يتسالموا على هذا الأمر، كما ان لهجة الآية الكريمة تدل إجمالا على الفخر والاعتزاز والإنعام، ولا نجد ثمة وجه ومجال للامتنان بفاتحة الكتاب ووضعها في كفة، ووضع القرآن في كفة أخرى.

الدليل الثاني: يدل منطوق كلمة (مثاني) في الآية الثانية على أنها تشير الى السور المبتدأة بالحروف المقطعة وخاصة المكررة من أمثال (حم، ألم، ألر، طس..).

وتشير الآية الأولى الى وحدة الحواميم وهي سبعة، وينطبق عليها وصف القرآن - بأنها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - بصورة قوية، وذلك لأن الحواميم هي أكثر سور القرآن الكريم تعرضا للوعد والوعيد والعذاب الأليم، وأشد وصفا للجحيم وطعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون، بخلاف فاتحة الكتاب التي تشعر آياتها بالضراعة والدعة والهداية، تطمئن إليها النفوس وتسكن بهديها القلوب.

إن سور الحواميم السبع جميعها مكية، وكانت تعادل في دور من أدوار الوحي جزءا كبيرا مما كان قد نزل من القرآن، في ذلك الدور يبرّر وضعها في كفة وما نزل وقتئذٍ في كفة أخرى[٣٨].

بذينك الدليلين اتكأت هذه النظرية الجديدة وتم طرحها في مقابل النظريات الأخرى المطروحة، فانطباق دلالة (المثاني) على السور المبتدئة بالأحرف المقطعة أمر ينبغي التأمل فيه إذ لا يخلو من وجه. ويمكننا بتلك النظرية أن نرد على من يدّعي خلوّ القرآن عن إفادة شيء يرجع الى الأحرف المقطعة وخلوّ السنة الصحيحة عن إبانة مغزاها ومعناها مما يجعلهم في ريب من كونها جزءا من القرآن.

الإحكام والترابط الدلالي بين الاستهلالات المتشابهة:

تكررت مجموعة من الأحرف المقطعة في مستهل بعض السور القرآنية كما في الآية الكريمة (ألم) التي وردت في مستهل ستّ سور مباركات.

ولعل هذه الأحرف تعدّ مرتبة من مراتب القرآن الكريم، إذ انه وكأطروحة محتملة (ان للكتاب الإلهي مراتب متعددة ولكل مرتبة خاصية أو خواص معينة، وهذا يعود الى كثرة المظاهر الإلهية وعوالمها التي مرت بها، فالحقيقة واحدة وهي حقيقة الكتاب لكن مظاهرها متنوعة كحالات الإنسان المتكثرة)[٣٩].

ومن أهم ما يميز هذه الأحرف البيان والترابط الواضح فيما بينها، إذ ان الآيات التي تلتها جاءت دلالاتها في السور الستّ على نسق متّسق وكأن أحدها متمم للأخرى في انسجام بيّن ينطق بالحقّ، وتظهر للمتأمل فيها صورة قدسية تكشف عن عظمة كتاب الله تعالى، وأنه لا ريب فيه، ولا يرقى إليه الشك البتة، ولا يجد إليه الباطل سبيلا؛ لأنه منزل من رب العالمين على قلب الرسول الأعظم محمدﷺ.

ويتوالى ترابط الآيات الكريمة فتتسع دلالاتها وتشمل تبيانا لحكمة ذلك الكتاب السماوي وهدايته للعباد وانه رحمة للمحسنين.

ولابأس من الاستضاءة بنور هذه الآيات الست المتشابهة، في محاولة للوقوف عند بعض أسرارها والكشف عن شذرات من ماهية العلاقة التي تربطها ببعضها:

أولا: قال تعالى ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٤٠].

هذه الآية الكريمة تحمل افتتاحا مجملا بذكر القرآن الكريم ونفي الريب والشك عنه وانه حق وصدق، (وقوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ليس ادعاءً بل تقريرا لحقيقة قرآنية مشهودة هي ان

القرآن يشهد بذاته على حقانيته، وبعبارة أخرى فإن مظاهر الصدق والعظمة والانسجام والاستحكام وعمق المعاني وحلاوة الألفاظ والعبارات وفصاحتها من الوضوح بدرجة تبعد عنه كل شك)[٤١].

ثانيا: قال تعالى ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[٤٢].

تبين هذه الآيات الكريمات أن ذلك الكتاب الذي هو منزه من الريب إنما هو وحي منزل من الله الواحد الأحد الحي القيوم على قلب رسوله الأكرم محمدﷺ. وصفة الحياة لله تعالى غير الحياة بالنسبة للبشر، فإن(الحياة بمعناها الواسع الحقيقي هي العلم والقدرة، وعليه فإن من يملك العلم والقدرة اللامتناهيين يملك الحياة الكاملة، فحياة الله تعالى هي مجموعة علمه وقدرته)[٤٣]، أما صفة القيوم فهي في الواقع أساس كل صفات الفعل، وهي (الصفات التي تبين علاقة الله تعالى بالموجودات كالخالق والرازق والهادي والمحيي...)[٤٤].

ثالثا: إن الله الحي القيوم على عباده لن يتركهم دون تمييز وتمحيص ليكشف سرائرهم ونواياهم إذ قال ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٤٥]، فبعد إنزاله القرآن الكريم على قلب الرسولﷺ حقا وصدقا ليهتدي من طلب الهداية، ولا يشك فيه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو بصير، أشار هنا في هذه الآية الكريمة الى مسألة من أهم مسائل الحياة البشرية وهي الشدائد والضغوط والامتحان الإلهي.

إن الامتحان سنّة إلهية دائمية لا بد من أن تجري على الإنسان لأنه في مقام الادعاء يمكن لكل أحد أن يقول عن نفسه انه أشرف مجاهد وأفضل مؤمن، فلابد من معرفة القيم والأوزان لهذه الادعاءات بالامتحان، وينبغي أن تعرف الى أي مدى تنسجم النيات الداخلية مع هذه الادعاءات.

رابعاً: وفي قوله تعالى ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[٤٦] تنبؤ عجيب وبشارة عظيمة للمسلمين الذين اهتدوا بهدي القرآن، وفتنوا ومحصوا، بأن النصر آتٍ في بضع سنين، وهذا إخبار بالمستقبل من قِبل الله تعالى ليفرح المؤمنون الصابرون على الهوان والعذاب الذي كان ينالهم من قِبل مشركي مكة. إن فرح المؤمنين بانتصار الروم

على الفرس بعد بضع سنين جاء لجهات متعددة[٤٧]:

١- انتصار أهل الكتاب على المجوس يعدّ ساحة لانتصار الموحدين على المشركين.

٢- هو بمثابة انتصار معنوي وذلك لظهور إعجاز القرآن.

٣- ثمة انتصار مقارن لذلك الانتصار، ويحتمل أن يكون صلح الحديبية.

إن هذا التنبؤ الغيبي لهو دليل على إعجاز القرآن وفي الوقت ذاته كان فألا حسنا للمسلمين. وما يلفت النظر في هذه الآية الكريمة إننا لا نجد فيها تنويها عن عظمة القرآن كما في الآيات الأُخر؛ لأن هذا الخبر المرتبط بالمستقبل هو من دلائل إعجاز القرآن، بيد انه في واقع الأمر لم يتعدّ محور الصفات القرآنية، وبالتالي فهو يؤدي إلى إظهار عظمة القرآن.

خامساً: وبعد البشارة بالنصر وإعلاء كلمة لا إله إلا الله، نجد في الآية الكريمة: ﴿الٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٤٨] وصفا آخر للقرآن بأنه (الكتاب الحكيم) ويأتي هذا الوصف لقوة محتواه ومتانته فلا يقول إلا الحق.

ووصف الكتاب بالحكيم (إشعار بأنه ليس من لهو الحديث من شيء، بل كتاب لا انثلام فيه ليداخله لهو الحديث وباطل القول، ووصفه أيضا بأنه هدى ورحمة للمحسنين تتميم لصفة حكمته فهو يهدي الى الواقع الحق ويوصل اليه لا كاللهو الشاغل للإنسان عما يهمه، وهو رحمة لا نقمة صارفة عن النعمة)[٤٩].

ثم تذكر الآية التالية الهدف النهائي من نزول القرآن بأنه ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فإن الهداية في الحقيقة هي مقدمة لرحمة الله تعالى لأن الإنسان يجد الحقيقة أولا في ظل نور القرآن ويعتقد بها ويعمل بها ويتبعها، وبعد ذلك يستحق أن يكون مشمولا برحمة الله الواسعة ونعمته التي لا حدّ لها.

ومما يلفت الانتباه اختلاف التعبير في هذه الآية الكريمة عما جاء فيما سبق في آية البقرة ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ فجاء التعبير هنا بالهداية للمحسنين، وهذا الاختلاف يمكن أن يكون بسبب (ان روح التسليم وقبول الحقائق لا تحيى في الإنسان بدون التقوى، وعند ذلك سوف لا تكون هنالك هداية)[٥٠]. فنحن إذا تكاملنا ضمن مرحلة قبول الحق سنرقى الى مرحلة

الإيمان والعمل الصالح، وعندها ستتسع وتعظم رحمة الله تعالى أكثر من ذي قبل. ولذلك جاءت الآيات متدرجة على مراحل متعاقبة من مراحل تكامل عباد الله تعالى، وفي كل حال فالقرآن هو مصدر الهداية والبشارة والرحمة.

سادساً: وكما استُهلت هذه الآيات الخمس بذكر الكتاب ونفي الريب عنه، تأتي الآية الخاتمة للاستهلالات المتشابهة عود على بدء لتؤكد هذه الحقيقة البالغة الأهمية: ﴿الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٥١] ولتخبرنا مجددا بأن هذا الكتاب السماوي محتواه حق ولا مجال لأدنى شك فيه؛ لأنه منزل من رب العالمين الذي يصدر منه كل حق.

وهكذا نرى إن هذا التحليل للآيات الكريمات التي تلت الأحرف المقطعة (ألم) قد أفصح عن علاقة وثيقة وتناسب بيّن بيْنَ تلك الآيات، حتى لقد بدت كالسورة الواحدة، بل يجوز التصريح بأن القرآن كله يبدو كسورة واحدة، فقد (دُرس تناسب سور القرآن الكريم سورة سورة، وتناسب آياته الكريمة آية آية، وتناسب فواتح السور وخواتيمها فكان قطعة فنية واحدة محكمة الربط فخمة النسج)[٥٢]. كما ورد في التفسير الكبير: (ان القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض، بل هو كالآية الواحدة)[٥٣].

خصائص الأحرف المقطعة:

اختصت الأحرف المقطعة في القرآن الكريم بخصائص لافتة للنظر والتأمل والبحث، منها:

أولاً: إن عدد هذه الأحرف أربعة عشر حرفا - بعد إسقاط المكرر منها - وهذا يعني أن عددها يساوي نصف الحروف الهجائية في اللغة العربية، وإذا تأملنا في هذه الأربعة عشر حرفا وجدناها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، وبيان ذلك ذكره صاحب التعبير القرآني: (إن فيها من الحروف المهموسة نصفها، ومن المجهورة نصفها، ومن الرخوة نصفها، ومن المطبقة نصفها، ومن المنفتحة نصفها، ومن المستعلية نصفها، ومن المنخفضة نصفها، ومن حروف القلقلة نصفها)[٥٤] !!

ثانيا: جاءت الأحرف المقطعة بقوالب متنوعة في القرآن الكريم من حيث عدد الأحرف التي تفتتح السور المباركات، فإن:

- بعض السور استهلت بحرف واحد مثل (ص، ق، ن).
- وبعضها جاء بحرفين مثل (طه، يس، طس، حم).
- وبعضها بثلاثة أحرف (ألم، ألر، طسم).
- وبعضها بأربعة أحرف (ألمص، ألمر).
- وبعضها بخمسة أحرف (كهيعص، حمعسق)، ولم يرد بعدها أكثر من ذلك.

كما ان هذه الأحرف مختلفة من حيث أن بعضها وقع في مفتتح سورة واحدة مثل (ن)، وبعضها وقع في مفتتح مجموعة من السور مثل (الم، الر، حم).

ثالثاً: إن الأحرف المقطعة المتشابهة جاءت آية مستقلة لوحدها باعتبارها الآية الأولى من السورة التي تنتمي إليها، مثل (الم) التي افتتحت ستّ سور مباركات، و(حم) التي افتتحت سبع سور، نستثني من ذلك الأحرف (الر)، وهذا التنسيق والترتيب للآيات ليس للمخلوق يد فيه، إنما هي حكمة الخالق اقتضت أن تمثل هذه الأحرف آية في موضع ولا تمثل آية في موضع آخر.

رابعاً: لم ترد الأحرف المقطعة في القرآن الكريم لتسع وعشرين سورة مباركة في غير المفتتح، وقد تفردت بهذه الميزة، حيث نجد أن جميع استهلالات السور القرآنية وردت مثيلاتها في أواسط أو أواخر السور، كما في آيات الأقسام والنداء والحمد والتسبيح.

خامساً: من الملاحظ ان الأحرف المقطعة لا تشكل كلمة مفهومة، وقد جاءت مرة مفردة كما في (ن) في سورة القلم، ومرة مجتمعة كما في (كهيعص) في سورة مريم، وهذا الأمر مدهش وعجيب !! فهل كون الأحرف بهذا الشكل غير المفهوم - بالنسبة لنا - أكثر بلاغة وأدقّ معنىً وأعمق دلالة مما لو جاءت لفظا مفهوما؟!! والأعجب من ذلك ان ألفاظ القرآن الكريم المقدسة الرفيعة الشأن، السامية المعاني، لا تكتمل ولا تشكل قرآنا إلا بضميمة الأحرف المقطعة، لتكون كُلاً متماسكا عظيما هو كتاب الله تعالى، وإن هذه الأحرف غير المفهومة في لفظها تحمل من الأهمية والهيبة والقدسية ما تحمله الألفاظ القدسية المفهومة الأخرى، فهي جميعا كلام الله تعالى.

سادساً: لاحظنا في جلّ السور المباركة المستهلة بالأحرف المقطعة انه يستتبعها مباشرة لفظ (الكتاب) أو (القرآن) وذلك في بيان لعظمته، مما يدل دلالة واضحة على وجود علاقة ما وارتباط بين هذه الأحرف وبين القرآن الكريم. وقد أحصينا أربعا وعشرين سورة مباركة من أصل تسع وعشرين وردت فيها هذه الظاهرة، وهذا بيان لما نقول:

- ورد لفظ (الكتاب) في مستهل ستّ عشرة سورة مباركة من سور الأحرف المقطعة.
- ورد لفظ (القرآن) في مستهل أربع سور مباركات هي: (طه، يس، ص، ق).
- وفي مستهل السور (يوسف، الحجر، فصلت، النمل) اقترن لفظا (الكتاب) و(القرآن) معاً.

العلاقة بين المفتتح الخاص والمفتتح العام:

من المعلوم أن السور القرآنية بأجمعها تحمل مستهلا واحدا عاما هو الآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ - عدا سورة التوبة - ولذلك يمكن أن نطلق عليها تسمية (المفتتح العام) في مقابل (المفتتح الخاص) الذي يعني الآية الأولى من كل سورة أو بضميمة بضع آيات تليها.

ثمة دراسة إحصائية دقيقة لآية البسملة أجراها الباحثون خلصت الى أن ثمة وشائج عميقة الدلالة تربط بينها وبين الأحرف المقطعة تحمل من أسرار القرآن ما تعجز عن استيعابه أرقى العقول وأرصنها، ينال منه شذرات وومضات على قدر أوعية القلوب.

لنطلع أولا على قراءة إحصائية عن المفتتح العام ومفرداته، فمن المعلوم أن حروف آية البسملة المباركة عددها تسعة عشر حرفا، ولقد تكررت كل كلمة من كلماتها في القرآن الكريم تسع عشرة مرة أو ما هو مضاعف التسع عشرة، كيف؟!!

- تكررت مفردة (اسم) في القرآن الكريم كله تسع عشرة مرة.
- تكررت مفردة (الرحمن) سبعا وخمسين مرة، وهذا يعني (٣×١٩).
- تكررت (الرحيم) مائة وأربع عشرة مرة، أي (٦×١٩).
- وتكرر لفظ الجلالة (الله) بمقدار (٢٦٩٨) في القرآن الكريم، أي (١٤٢×١٩)[٥٥].

أما العلاقة العجيبة التي تربط آية البسملة بالأحرف المقطعة فتكمن في العدد (تسعة عشر)، فإن هذه الأحرف التي تبدأ بها بعض سور القرآن من مثل (ألم، حم) ونحوها محصاة إحصاءً دقيقا عجيبا، فقد تبين أن السور التي تبدأ بهذه الأحرف تتكرر فيها هذه الأحرف بمقدار التسعة عشر شأنها شأن آية البسملة، فالبسملة هي افتتاح سور القرآن عموما وهذه الأحرف هي افتتاح هذه السور خصوصا، فما أجمل تناظر الافتتاحين[٥٦] !! لنلاحظ مثلا:

- الحرف (ق) في سورة ق تكرر سبع وخمسين مرة، أي (٣×١٩).
- الحرف (ن) في سورة القلم تكرر (١٣٣) مرة، أي (٧×١٩).
- الحرف (ص) تكرر في السور التي يرد في أحرفها المقطعة حرف الصاد بمقدار (١٥٢) مرة، أي (٨×١٩).
- الحرفان (طه) تكررا في سورة طه (٣٤٢) مرة، أي (١٨×١٩)[٥٧].

ومثل هذا ينسحب على بقية السور. سبحان الله !! تُرى ما العلاقة بين هذا العدد وبين ملائكة النار التي ذكرها القرآن الكريم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٥٨]؟!!

دراسة حديثة ونظرية جديدة:

أثارت الأحرف المقطعة عقول المفسرين والباحثين من المتقدمين والمتأخرين، وفتحت ميادين البحث من أوسع أبوابها فشرع كل منهم في سعي حثيث لسبر غور هذه الأسرار الإلهية الكامنة وراء أحرف هي نفسها المتداولة بين العرب.

ومن المحدثين الباحث المصري رشاد خليفة الذي استطاع بحسابات معقدة أن يثبت وجود علاقة متينة بين الأحرف المقطعة والسورة التي تتصدرها، مستعينا بالعقل الالكتروني لإجراء إحصاءات دقيقة ومذهلة في معرفة أعداد حروف السور ونسبة وجود كل حرف منها.

لم يكن هذا الباحث مختصا بتفسير القرآن، لكنه كان مهتما بمعرفة أسرار الأحرف المقطعة، فتتبع كتب التفسير فلم يجد ضالته ولم يقتنع بالنتيجة التي خرج بها من بطون التفاسير، ولذلك بدأ رحلته الى عالم الأحرف المقطعة، وانطلق ببحثه في مدينة شيكاغو[٥٩].

يذكر الباحث بأن القرآن الكريم يضم (١١٤) سورة ومن بينها (٢٩) سورة تبدأ بحروف مقطعة، مجموع هذه الحروف يبلغ نصف حروف الهجاء العربية ويصفها بالحروف النيرة أو النورانية، ومن أمثلة ما توصل إليه انه وجد بالحسابات ان نسبة حرف القاف في سورة الفلق تحوز أعلى نسبة وهي (٦،٧٠٠٪) وتحوز المرتبة الأولى في القرآن بعد سورة (ق)، وتأتي بعدها سورة (القيامة) التي يبلغ فيها عدد حرف بالنسبة الى حروف السورة (٣،٩٠٧٪)، ثم تأتي سورة (الشمس) ونسبتها (٣،٩٠٦٪)، فلاحظ أن الفرق بين سورة الشمس وسورة القيامة يبلغ (٠،٠٠١٪). وهكذا استخرج هذه النسبة في (١١٤) سورة لهذا الحرف ولسائر الحروف النورانية الأخرى، وبذلك ظهرت نسبة مجموعة حروف كل سورة الى كل حرف من الحروف النورانية[٦٠].

إن هذا الترتيب والتنسيق الإلهي العجيب سبق وان لفت نظر المفسرين منذ القدم وكان البحث فيها قائما دائبا منذ ذلك الحين فتوصلوا الى أن السور التي بدأت بالحروف المفردة بنيت على ذلك الحرف، فالكلمات القافيّة ترددت في سورة (ق) كثيرا، والكلمات الصاديّة ترددت في سورة (ص) كثيرا، وهكذا[٦١].

وأيد هذه القراءة صاحب ملاك التأويل في قوله: (إن هذه السور إنما وقع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها، ويوضح لك ما ذكرت انك إذا نظرت في سورة منها بما يماثلها في عدد كلمها وحروفها وجدت الحرف المفتتح بها تلك السورة إفرادا وتركيبا أكثر عددا في كلمها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها)[٦٢].

وذكر في تعليل بدء سورة يونس بـ (الر): (انه تكرر في سورة يونس من الكلام الواقع فيها الراء مائتا كلمة وعشرون كلمة او نحولها، وأقرب السور اليها مما يليها بعدها من غير المنفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل وهي أطول منها، والواو فيها مما تركب على الراء من كلمها مائتا كلمة مع زيادتها في الطول عليها)[٦٣].

إن ما توصل إليه رشاد خليفة هو عين ما وصل إليه أسلافنا، جلّ ما هناك إنه استعان بالعلم الحديث ووظف العقل الالكتروني للحصول على نتائج إحصائية دقيقة وعميقة لم يصل إليها أسلافنا وكأنه أكمل طريق البحث والدراسة القرآنية.

بعد ان أكمل الباحث تحقيقاته وأبحاثه بشأن الأحرف المقطعة توصل إلى نتائج إحصائية مثيرة، منها[٦٤]:

١- نسبة حرف القاف في سورة (ق) أكثر من نسبتها في أية سورة أخرى بلا استثناء، أي ان الآيات التي نزلت طوال ثلاث وعشرين سنة - وهي مدة نزول القرآن - في (١١٣) سورة استعملت فيها القاف بنسبة أقلّ، ودلت الحسابات أيضا على ان الحرف (ص) في سورة ص له الخاصية نفسها، أي نسبة وجوده في هذه السورة أكثر من نسبة وجوده في أية سورة أخرى من سور القرآن، كما ان الحرف (ن) أكثر في سورة القلم، ولو جمعنا السور التي تبدأ بحروف (الر) وافترضناها بحكم السورة الواحدة، نصل الى نتيجة مفادها ان عدد حرف (ن) في هذه السور أقل مما في سورة القلم !!

٢- حروف (المص) في بداية سورة الأعراف، فإذا حسبنا حروف الألف والميم والصاد في هذه السورة نجدها أكثر مما هي في أية سورة أخرى، كذلك (المر) في بداية سورة الرعد، و(كهيعص) في بداية سورة مريم إذا حسبت الأحرف الخمسة كان عددها في هذه السورة أكثر مما هي في السور الأخرى.

٣- كان الكلام حتى الآن يدور حول الحروف التي تتصدر سورة واحدة، أما الحروف التي تتصدر سورا متكررة فإنها تتخذ شكلا آخر، فالحسابات الالكترونية تقول: ان مجموع هذه الحروف الثلاث، مثلا (ا ل م) اذا حسبت في مجموع السور التي تتصدرها، وتستخرج نسبتها الى مجموع حروف هذه السور نجد ان هذه النسبة اكبر من نسبة وجودها في السور الاخرى من القرآن.

لاشك ان هذه الاحصاءات المعقدة الخارجة عن نطاق قدرة الانسان بدون الاستعانة بالعقل الالكتروني، قد دلت وبشكل صريح على:

- ان سور القرآن آياته ليست وحدها المرتبة وفق حساب معين، بل حتى حروفه موضوعة بحساب ونظام خاص لا يقدر عليه سوى الله تعالى.
- وان الحرف الواحد ليس هو وحده الذي يرد بحساب في السور المباركات بل ان مجموعات الاحرف أيضاً تأتي هكذا بشكل مدهش.

- وان حروف كل سورة من سور القرآن ليست هي وحدها التي تقع تحت الضبط والحساب، بل ان مجموع حروف السور المتشابهة تقع تحت حساب متشابه ايضا.
- وليس من باب المصادفة والاتفاق ان تبدأ عدة سور مختلفة بالحروف (الم) او (الر) فان ذلك موضوع ضمن نظام دقيق وحساب الهي معجز.(٦٥)

تكرار لفظ المفتتح في محتوى السورة:

ذكرنا في المطلب السابق أن الأحرف المقطعة تتردد كثيرا في السورة المفتتحة بها، بيد أن الأمر ليس مقصورا على تكرار هذه الأحرف، وإنما يتعداه الى تكرار الألفاظ التي تلي الأحرف المقطعة، فإن مفتتح السورة المباركة قد يكون دليلا على تردد قسم من الألفاظ في السورة، ومن ذلك: تردد لفظ (الكتاب) و (القرآن) وغيرهما من الألفاظ على النحو الآتي:

- إن كل سورة ذكر فيها لفظ (الكتاب) وحده بعد الأحرف المقطعة يتردد فيها هذا اللفظ أكثر من لفظ (القرآن) وربما لم يرد فيها لفظ (القرآن) نهائيا.
- وكل سورة ذكر فيها لفظ (القرآن) وحده، يتردد فيها هذا اللفظ أكثر من لفظ (الكتاب) وربما لم يرد فيها لفظ (الكتاب) ولا حتى مشتقات الكتابة.
- وكل سورة اقترن فيها ذكر (الكتاب) و (القرآن) معا، تردد ذكرهما في محتوى السورة بصورة متقاربة فلا يزيد أحدهما على الآخر بأكثر من لفظ واحد(٦٦).

لا بأس من ذكر بعض التطبيقات لتوضيح ما قلنا:

أولاً: في مفتتح سورة البقرة ورد لفظ (الكتاب) بعد أحرفها المقطعة: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، وفي قراءة إحصائية للسورة المباركة تبيّن أنه تردد لفظ (الكتاب) ومشتقات الكتابة فيها سبعا وأربعين مرة، في حين لم يرد لفظ (القرآن) أو أيّ من مشتقات القراءة إلا مرة واحدة في قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾(٦٧)(٦٨).

ثانياً: ذكر لفظ (الكتاب) في مفتتح (آل عمران): ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، نلاحظ ان لفظ الكتابة ومشتقاتها في هذه السورة قد تكرر ثلاثا وثلاثين مرة، ولم يرد فيها لفظ (القرآن)(٦٩).

ثالثا: جاء في مفتتح سورة مريم المباركة بعد الأحرف المقطعة لفظ (الرحمة): ﴿كٓهيعٓصٓ * ذِكۡرُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، وقد تناغم هذا اللفظ مع عصب السورة بأكملها في ستة عشر موضعا، وانتشرت هذه الكلمة بمشتقاتها في أرجائها، وشاع جوّ السورة كله بالرحمة[٧٠]، كذلك لفظ (الربّ) الذي ورد في مستهل السورة ﴿رَحۡمَةِ رَبِّكَ...﴾ وعند تتبع السورة المباركة وجدنا انه تردد في محتواها ثلاث وثلاثين مرة، فإن سورة مريم استأثرت بصفتي (الرحمن) و(الربّ) واستعملته بشكل مستمر ومتجانس من بدايتها وحتى نهايتها.

رابعا: ورد ذكر (القرآن) في مفتتح سورة طه ﴿طٰهٰ * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[٧١]، فتردد ذكر ذلك اللفظ في السورة ثلاث مرات، ولم يرد لفظ (الكتاب) إلا مرة واحدة[٧٢].

خامسا: في قوله تعالى في مفتتح سورة النمل ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ﴾ نجد ان لفظي (الكتاب) و (القرآن) قد اقترنا معا، وقد أحصي فيها لفظ (القرآن) أربع مرات، ولفظ (الكتاب) خمس مرات[٧٣].

وهذا النهج لم يختلف في أية سورة من السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، نلحظ ذلك في سور: الأعراف، يونس، هود، الرعد، إبراهيم... وغيرها.

هوامش البحث

(١) النقد الأدبي في كتب التفسير، أحمد طه ياسين الشيخ علي: ١٠٩
(٢) ظ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: ١٨/ ٨
(٣) النقد الأدبي في كتب التفسير: ١٠٩
(٤) دراسات في سورة يوسف، حسين كاظم الزيدي المزيرعاوي: ١/ ١١٣
(٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف: ١/١٤٣
(٦) ظ دراسات في سورة يوسف: ١/ ١١٠

(٧) ظ الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٩/ ٤٦٣
(٨) م. ن: ٩/ ٤٦٤
(٩) سورة فصلت: ٢٦
(١٠) الأمثل: ١/ ٦٤
(١١) مجمع البيان، الطبرسي: ٣٢/١
(١٢) الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ١٨/ ٨
(١٣) ظ مجمع البيان: ١/ ٣٣
(١٤) ظ م. ن: ١/ ٣٣
(١٥) الأمثل: ٤/ ٥١٤
(١٦) التفسير البياني، بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن: ٤١
(١٧) الميزان: ١٨/ ٦
(١٨) م. ن: ١٨/ ٦
(١٩) ظ التفسير البياني: ٤١
(٢٠) مجمع البيان: ١/ ٣٣
(٢١) دراسات في سورة يوسف: ١/ ١٠٣
(٢٢) مجمع البيان: ١/ ٣٤
(٢٣) سورة فصلت: ٢٦
(٢٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤٥٦
(٢٥) مجمع البيان: ١/ ٣٤
(٢٦) ظ الأمثل: ١/ ٦٤
(٢٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/ ٥٤
(٢٨) سورة الإسراء: ٨٨
(٢٩) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٦٢
(٣٠) ظ الأمثل: ١/ ٦٥
(٣١) ظ تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني: ٢/ ١٣٧
(٣٢) ظ م. ن: ٢/ ١٣٧
(٣٣) الآداب المعنوية للصلاة، العلامة الخميني: ٢٥
(٣٤) روح المعاني، الآلوسي: ١٠٤/١
(٣٥) سورة الحجر: ٨٧
(٣٦) سورة الزمر: ٢٣

(٣٧) ظ تفسير القرآن الكريم: ٢/ ١٣٧، ١٣٨
(٣٨) ظ م. ن: ٢/ ١٣٨
(٣٩) دراسات في سورة يوسف: ١/ ١١٣
(٤٠) سورة البقرة: ١، ٢
(٤١) الأمثل: ١/ ٦٦
(٤٢) سورة آل عمران: ١، ٢، ٣
(٤٣) الأمثل: ٢/ ١٧٠
(٤٤) م. ن: ٢/ ١٧٠
(٤٥) سورة العنكبوت: ١، ٢
(٤٦) سورة الروم: ١، ٢، ٣
(٤٧) ظ الامثل: ١٢/ ٤٢٥
(٤٨) سورة لقمان: ١، ٢، ٣
(٤٩) الميزان: ١٦/ ٢١٤
(٥٠) الأمثل: ١٤/ ١٢
(٥١) سورة السجدة: ١، ٢
(٥٢) التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ٣٥
(٥٣) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٣٠/ ٢١٤
(٥٤) التعبير القرآني: ١٥
(٥٥) م. ن: ١٢
(٥٦) ظ م. ن: ١٢
(٥٧) ظ م. ن: ١٣
(٥٨) سورة المدثر: ١٣
(٥٩) ظ الأمثل: ٢/ ٢٧٣
(٦٠) ظ م. ن: ٢/ ٢٧٣
(٦١) ظ البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٦٩
(٦٢) ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي: ١/ ٣٠
(٦٣) م. ن: ٤٨٣/١
(٦٤) الأمثل / ٢/ ٢٧٥
(٦٥) ظ م. ن: ٢٧٥/٢
(٦٦) ظ التعبير القرآني: ٢٠١

(٦٧) سورة البقرة: ٨٥.
(٦٨) ظ التعبير القرآني: ٢١٨
(٦٩) ظ م. ن: ٢١٨
(٧٠) ظ دراسات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني: ٤٦٧
(٧١) سورة طه: ١، ٢.
(٧٢) ظ التعبير القرآني: ٢١٩.
(٧٣) ظ م. ن: ٢١٩.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما تبتدئ به القرآن الكريم

١- الآداب المعنوية للصلاة: روح الله الخميني، ترجمة وتحقيق: أحمد الفهري، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط: ٣، ٢٠٠٤.

٢- الأمثل في كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط: ٢ بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١ دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

٤- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): شوقي ضيف، دار المعارف، ط: ٢٤

٥- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، قم، ط:١، ١٤٠٩هـ.

٦- التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دار عمار. الطبعة الرابعة، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

٧- التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، ط: ٧ ١٩٩٠م

٨- تفسير القرآن الكريم: محمد بن روح الله الخميني المشهور بمصطفى الخميني.

٩- التوحيد: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة، بيروت

١٠- دراسات في سورة يوسف: حسين كاظم الزيدي المزيرعاوي، ط:١، مكتبة دار الباقر، النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

١١- دراسات في علوم القرآن الكريم: محمود البستاني، ط: ١، ايران - قم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة الآلوسي البغدادي، طبعة دار احياء التراث العربي.

١٣- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): محمد فخر الدين بن ضياء الدين الرازي، ط:٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: د. سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي. ط: ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٦- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، ط: ١ مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، ايران - قم، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

الرسائل الجامعية:

١٧- النقد الأدبي في كتب التفسير: أحمد طه ياسين الشيخ علي، رسالة ماجستير، النجف الأشرف، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.